أعطي اشارة بدء المعارك

... الى فقراء بلادي

عمار بو الدهان

متعب ، ها هو الآن يقدم نحوي ، يصافحني ثم يمضي ، المسافات تنأى بنا ... أذكر الآن ان المقاهي كانت رفيقا ، وان المنافي التي جمعتنا رفيق ، وان الذين ينامون فوق رصيف الموانىء في وطني رفقاء .

متعب ، ها هو الآن يفتحبابي الذي لاذ بالصمت.

أشهد ان الذين يمرون خلف زجاج النوافذ لا يدخلون الفنادق ، أشهد ان الذين يجوعون مثلي ، يموتون مثلي وفي وطني شهداء .

متعب ، أذكر الآن ان المدينة ضاجعها القحط ، والقمح باغته الطير . أذكر ان صدور الجبال تخبىء وجهي وتخزن كل القنابل ، قد تنفجر يوما ، وقد تتخلخل يوما وقد ... أذكر الآن ان القطارات مرت ، وان الشوارع ينطفىء النور فيها قريبا ، وان الزلازل سوف تكون رفيقا لمن يقطعون الطريق حفاة ، لمن يسمعون أغاني الجبال التي قد تجيء بها الريح يوما ، يجيء بها المطر المتبقي ، يجيء بها الشهداء .

أيها الوطن ، الجرح ، يدمل وجه الطريق ، وتحبل قيحا حروف القصائد ، تسقط كل الشعارات من واجهات الحوانيت ، والكلمات الجميلة تسقط ، كل القصائد تهرب من سجنها ، يخرج السجناء من السجن ثانية ، يتنفس ليل المدينة لا اكتفي ؟

أذكر الآن ان النهر يثور على ظمأ البحر ، يطلق طلقته ، ويقاتل غطرسة البحر ، يمنح اعشابه الماء والبندقية ، يفتح كل الصناديق ثم يوزع كل الذخيرة ... هل أذكر الآن ؟

أطلق طلقة بدء المعارك ، أعطي للنهر امر التراجع (لا) .

ما رأيك أنت الذي تتراجع . تنتظر الاحتفال الذي سيقام ـ غدا ـ لقراءة قائمة السجناء وتنصيب تذكار لبقايا الارامل والشهداء ؟

أطلق الآن طلقة رشاشتي المتبقية ، الآن أعطي اشارة بدء المعارك بين الجيوش التي تتناحر ، أشهد ان الذين ينامون فوق رمال الشواطىء أو فوق ما لفظته البيوت من الزبل والوسخ المتبقي يجيئون يوما، ويقتحمون المدينة ، أشهد ان الذين يموتون فوق جليد بلاط الشوارع ينتشرون ويختصرون المسافة ، أشهد ان صهيل خيول (المداشر) يقترب الآن مني ، وأشهد ان البنادق تنتشر ، الآن لا أتراجع ، أعطي اشارة بدء المعارك بين الجيوش التي تتناحر ، أعطي اشارة بدء المعارك يا أيها الشهداء .

أذكر الآن ان المداخل قد حاصرتني ، وان السنونو يهاجر قبل قدوم الشتاء ، ويأتي اذا غازل الشيب لون الحقول ، اذا احمرّ زهر الحدائق يأتي السنونو ، وأذكر ان المدينة قد خرجت من برودة طقس الشتاء الاخير ، المدينة قد حاصرتني بنادقها ، والعيون التي تيبس الآن في زمن القحط تختزن الصور المتناقضة ، الآن تلتقط الصور ، القحط لا ينتهي ، ورجال الصحافة يلتقطون خفايا المدينة ليلا ، المدينة قد تضع الحمل ، تخرج أحشاءها ، تتقيأ ، تلقي حمولتها ، الآن يذكرني الشهداء .

متعب ، ها هو الآن يقدم نحوي ، يصافحني ثم يمضي ، المسافات تنأى بنا ، والزمان الذي كان يجمعنا صار يهجرنا ، أتنقل عبر خلايا المحطات ، أسماء كل الشوارع قاطعها الشهداء !

آه يا أيها الشهداء ، المناديل تهجر وجهي ، الجيوش تحاصرني ، الدرك الوطني يقيم حواجزه ، والمناشير ممنوعة لا تهرّب ، لا تتسرب ، والصمت مقبرة ، لا بطاقة لي ... أتراجع ؟

انني أعطي اشارة بدء المعارك بين الجيوش التي تتناحر ، أعطي اشارة بدء المعارك يا أيها الشهداء .